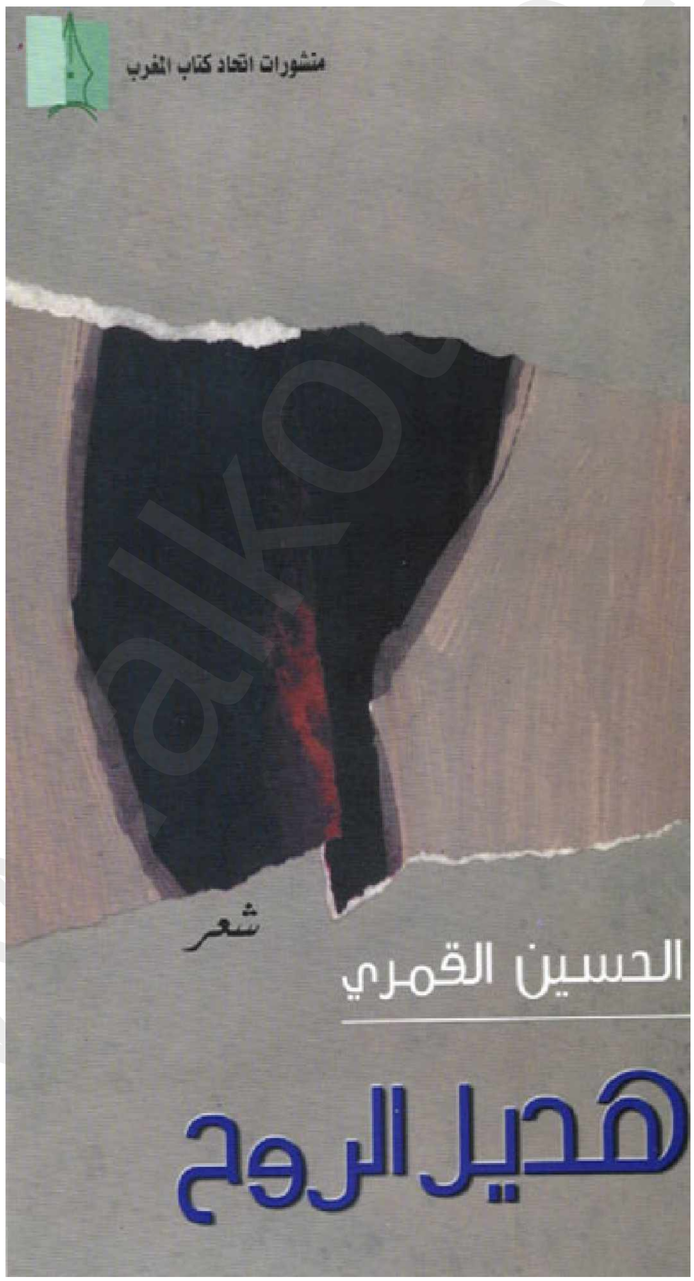

منشورات اتحاد كتاب المغرب
شعر
الحسين القمري
هديل الروح

الحسين القمري

هديل الروح

شعـــــر

هديل الروح
شعر: الحسين القمري
لوحة الغلاف من إنجاز الفنان
بوشعيب الهبولي
الإيداع القانوني: 2000-1577

طبع هذا الكتاب ضمن منشورات المكتب المركزي
لاتحاد كتاب المغرب

التصفيف والإنجاز الفني

ناداكوم 50 25 68 037

السحب: مطبعة فيديبرانت
الهاتف: 24 61 720 03 – الرباط

هديل الروح

شعر الحسين القمري

1. في مهب الغنـاء

الهواء إليك رسولي
دعيه يحدثك عن جسد يتضور شوقا
إليك
ليفض عنه غبار السنين
ويلهو
على سمر بابلي
يخبئ أسراره
في الصباح لينشرها في المساء
المداد إليك
طريقي
وأولى المحطات
مشرعة للفجاءات
والشعر
فالتقطي في الزحام
يدي

ودعيني أجرب مغامرة الأنبياء
الرحيل إليك سمائي
فضمي إليك نجومي
وأسطورتي
وتخومي
ولا تدعيني على طرف العمر
أبني الحروف
وأهديها في مهب الفناء

1993-11-4

2. هديل الروح

لأسماء الحمام نذرت أسمائي
فأية حرقة أكلت فراشاتي
وأية هوة سرقت سمائي
فلم أخلع - غداة تنافر الأبدال - عن ألمي ردائي
ولم أسمع هديل الروح حين وقفت في أقصى
انمحائي
أسأل كاهنات الصمت
عما كنت أغزل من ربيعي أو
شتائي
وأتبع حوريات الطيف نحو مساقط الأضواء
أسكن
مترل الرؤيا
وأمرح في بساتين اللقاء،

متى
يا دوحة العشاق
يدنو الفجر من بوحي وإيمائي
وتخضر الحقول
على تخوم الرمل والماء
فإني ما فتحت الجرح إلا
بين أحضان المساء
وما اخترقت مغاور النسيان
إلا حين أشرقت الكواكب في دمائي
وإني ما اجترحت غواية
إلا وهذا الكون
عافيتي ودائي.

3. في حضرة محيي الدين بن عربي

• على عتبات الولوج
على جبل من دخان
رأيته
يغزل ثوب الغيم
وبين يديه قناديل من ذهب
وأباريق يسكب منها الرؤى الشاردات
رأيته
ينشر أوراقه
ويغني
لحورية من بنات الضباء
اقتربت
فأوثقني من ثمالات صبري
ومن ظمأى مزج الكأس ثم سقاني
طقوس الندى
وخمور عوالمه الغائبات

انسلت إلى دهشة اللون والكائنات
وصوت على بابه:
"نخلة في صقيع التنائي"
عراجينها ألسن في جميع الجهات
انخدعت لأسطورتي برهة
وتحللت من شبحي
في إهابي عقيق
ونخل يلفقه قلقي
وانشطاري
انتبهت
على ضوء أيقونة
تتدلى على سفح رؤيا
مدنسة بخطايا الوصول
اشتهيت ثمار حدائقه الفاتنات

فأومأ لي أن
تجلد
فإن الخطيئة
بنت اليقين
وبوصلة
تسرق الوقت منك
وأن حدائقنا سفن
وفصول
فكدت أحطم كأسي –أمزق أشرعتي
ثم
أعلن موت الرقاع
لأهدم ما بيننا من عروش
فجاوبني من صداه
صدى

يتخثر بين الزوايا
كما لو تشظى طريقي
ووغادت كواكبه الخادعة
ولكنه ضمني من ثمالات صحوي
وأسكرني بعناقيد من جنة الفقد
بين خدور المعاني
وأخيلة حرة سافرات
وأدخلني للمدى المتحفز للمحو والانكسار
دعاني إلى إغفاءة في شرود الخيال
وتغريبة في انصياع اللغات
وأوثقني للمرايا
فلم أر إلا
اشتباهي
ولم أر إلا مشارقه والتباسي

قلت :
يا سيدي عتبات الولوج تلوح لي انسياب المدى والمدار
قدسي ظهورك لي
قبل أن يطمس العمر وهم النهار

• كأنه قوس قزح

إليك

أفاض الفجر حينا وسلمت عليك عيون للصباح تودع ولو شئت أحللت اللقاء محل ما تفرق من شمل فهل أنت تسمع، فلو سئل الديباج أين مراحه لجاءك من فرط المحبة يهرع وتأيك أنوار من البشر فجأة فتمرح نشوى في مداك وتسطع، فهل يستريح العاشقون وكلهم يرونك وجها للحبيبة يسطع، فما لهوى الألوان يجرح سيرتي ويزرع فيها حيرة تتفرع وما للفضاء الرحب يخفي دماء فتفلت منها قطرة تتضوع وتترك أسراب الطيور مهادها إليك.

مع الفجر الذي يتخلع

• **إشارات بين لا ونعم**

كن
كما
لا
تريد
وانتظر قمرا ينشر القرب من طيلساني
ومن خطواتي أشعر قبسا للرحيل
وأزمنة
للنشيد
قف وعاكس هبوب الرماد
ولا تلتفت للوراء
فإن الرؤى ساحرات

لجأن
إلى كمفهن البعيد البعيد
كن كما لا تريد
فإنك لن تتسلطن من غير
موت
وعمر جديد
فما ألفيت إلا نتحار الفيوم
بأشواقها في الفضاء المديد
قلت:
كيف التحول منك إليك،
وكيف هذا الفراغ العنيد

قال :
كن
طاهرا
يتخلق من أرجوان التخلي
وطين الخفاء
ولا تتخذ أي رجم
يصدك عني
فإني مغارات هذا الفضاء

1994-09-05

4. عبد الله راجع

• ينساب عبد الله
بين الآس والمرجان
لا يترك الكروم المثقلات
بعريها حتى تبادله انسيابا
ويطل عبد الله من أيامه
فتزيده الرؤيا شبابا.

• ينساب عبد الله
بين مباهج الدنيا وزينتها
فيختار التوحد والربابا
ويصير مطلعه ربيعا
مستجابا
وتصير آيته نشيدا أو كتابا

• ينساب عبد الله
بين خواطر الماء النديَ
فيمنح الشعر الطفولة
والإهابا
ويخط عبد الله في دفاتره
فتمتلئ اللغات به انقلابا.

• ينساب عبد الله
بين السيف والسياف
يعتصر المدى
ويفك عن غده الحجابا
ينساب بين أزقة المدن
العتيقة

شاهرا أحلامه
متدثرا ببشائر الأحباب
لا يشكو
ولا يطأ الكواكب والسحابا

• ينساب عبد الله
بين مسالك الغابات
حرا كالينابيع البعيدة
عاليا كالنسر
يحمل عن جراح الناس والوطن انتدابا

• ورأيت عبد الله. كان يهندس الدنيا. ويصنع من خرائبها جوابا. كان يبحث في المعاني. عن معنى. ويبحث في الزمان عن المكان. وكان قبلة من يواسيهم. فغابا.

5. شاهدة على قبر أحمد المجاطي

• بوابة الروح
نبضات الحرف في كرمتنا
الثكلى تموت ونشيد الفجر أغضى
بين أيدي العنكبوت يرتدي
الشاعر آخر ثوب
• يخلع الدنيا ويمضي في •
• طريق الملكوت من هنا •
• مد سحاب دنيوي وبراق •
• وحداء نبوي وخيول ضياء •
• هنا تخضر أسرار الأنبياء •
• أوراق العمر •

تسعون قافية تمشط شعرها في البرزخ الوهمي بين الناس والمنفى وقلبك واقف بالباب يحلم بالسلام وبالدخول تسعون قافية تحف بركبها الأفلاك تحملها صبايا الجن نحو جزائر المرجان.

والأحلام

تأسو جرحها الغافي لا ريب أنك سابح
وتمسح عن ضفائرها في وحشة الظلمات
غبار الموت فجر جائع لمنابت الأسرار
تبرزها لأمسية بتول نبع دافق
عتبات ذكرى
نجمة تجري وراء خوالج الأكوان
موسيقى مؤلفة
من العشق البعيد
وناسك يروي
عناقيد الصبابة والحلول هب

أن أيام القيامة هاجس في رأس ساقية تموت
ولا تبوح بمن تأخر عن مواعيد الوصول هب
أن دالية الحروف سفينة غرقى
وأن البحر والربان
مختلفان في شكل الرسالة والرسوة هب
لأن موعظة الذئاب معلقات في مهب الريح
تفث في مسارها
تجاعيد المهانة والأفول هب
أن قائمة الليالي
لم تقم إلا لتحضر عرسها الأبدي
ما بين التمنع والقبول هب
إن موعدك الجميل
إذا طلعت تميمة
ضد احتقان الشعراء
في أرض ذلول.

تسعون قافية وألف نجمية خضراء تسمر عند بابك
تحتفي بمثابك الأبهى
وتنسج صوتك الريان تيجانا ونايات وألوانا وتنشرها
على صدر الفيافي والسهول • ما شئت من عتبي وما لم
تستطع طاحونة الأيام حمله من تباريح القرى والسامرات
إذا نشرن على ذراع الليل فاحما
وذرفن
غيما سابكا • ورؤاك • حين تزلزل القمر الحصين •
وألف حلم عائد من أمسه • وحمائل الروح الطريدة من
ربيع العمر • ليس
إلى دروبك من دليل •
وإلى عروشك من سبيل • كم
تمالكت القوافي سرها
وتقنعت
وسعت إليك بكل شاردة خجول •

يا
صاحبي
نام النشيد
على ذراعي الغيب
- لما نمت -
وانسل الخياب
إلى مدارات الذهول
ورأى
السحاب طريقه البني
حلا ممكنا
ومضت
أزاهير الربى
متحجبات
نحو أودية الذبول.

29 – 12 – 95

6. يا سيد المرجـان

ياسيد المرجان موعدنا القصيدة كيف تنسى غاية الياقوت
عاشقها
وكيف تهدهد الأشجار طفل الليلك المولود من تعب
المسافات
البعيدة كلما رحلت نوارسها وهاجرت القصائد في سلال
الموت
يخصف من تمائلها على عري البرية ساعة الميلاد •

ياسيد المرجان لا مأوى لنا في اللغو أو في ما تمزق من
رداء
الوقت لن تتآكل الأقلام والأوراق في مستنقع المعنى ولن
نئد الرؤى (ونساعد الزلزال) •

يا سيد المرجان هب أنا نراوغ هالة الجرح المقيمة في
أقاصي العمر هب أنا سنقفز حاجز الموت الرهيب إلى
الأبد فبأي ميناء سيحتفل الجسد وبأي قيثار نغني
للشواطئ والزبد؟ •

ياسيد المرجان ما في الكأس غير صدى من شاعر في
بساتين
الرؤى ولدا للشمس يجدل أزهارا وأجنحة وينسج النور
حلما يستميل ندى ويستفيق نوار الصبح مختلجا على
يديه بما عانى وما وجدا • يا سيد الكلمات اللؤلؤي ألم
تنشر
جناحيك للحزن الذي احتشد ولم تسائل هبوب الروح
مندهشا
عما سيولد في دنيا الخيال إذا • فهل تذكرت ما قلنا
على عجل لما اقتسمنا رغيفا حائرا أبدا • وكان صوتك
رقراقا يؤلفنا كأنما انساب في أوتاره بَرَدَى •

ياسيد المرجان بين النور والفانوس مرت فتنة الكلمات
فارتعشت يداي ولم أعد أقوى على هتك البياض فإن
تكن
صور الحدائق عطفه العشاق في سفري الطويل فلأن
حرفك
ياصديقي كان مطلعا الجميل •

مازلت أبحث في دروب الصمت عن جرس رقيق لأشق بحر
الموت نحو فتى تربى بين أحضان الحريق • ما زلت أبحث
عنك في صحراء هذا العمر يا أبهى صديق • ما زلت جوالا
أقيم على سرير العمر مرثية العرائس وأدق بابا السماء
مخضبا بدم الطرائد في لياليها الدوامس.

ياسيد المرجان
ما اقترفت يداي
من الذنوب
ألق القصيدة
وشهوة الصور اللعوب
لكنني يا أحمد الذهبي
عن سر الأحبة لن أتوب.

94 – 10 – 10

7. الرؤيا

غصت الرؤيا
بأشواقي
وتاهت عن عناقيدي المعاني
وتراخت عن مواعيدي
غوايات من تواشيح الأماني
فعصرت الندى
حتى أيقظتني
أنجم سكرى
ومرت من أمامي
ثريات
وأصداء
جمعتها الريح
من بوح المسافات
ومن شرخ الأماني

غصت الرؤيا
وهذا من لهاث الدرب
سطر من كتابي
لم أعد فيه سدى
رعشة حلم
وسؤال عن متاهات غيابي
أيها الجامح من رؤيا شبابي
كيف أبني قبة الريح
على رمل يباب؟

صيف 1995

8. محمد الأشعـري

(بعد قراءتي لرائعته "جنوب الروح")

ياداعي الحرف محمولا على وتر من الجمال ومن
نبل على ألق يكفيك أنك جواب الرؤى
نطقت على يديك شعاب الروح بالشفق ما زال
في الريف
بيت لا تسامره إلا كواكبك الخضراء في الأفق فهل
عثرت على رؤيا مجنحة بين البساتين أو نبع من العسل
الريفي مندلق
وهل لجأت إلى حلم بها حملت يداك من أنجم شتى،
ومن أرق؟ فطار حتى جنوب الروح وامتثلت كل
الجهات بما كابدت من سكرات الشعر في محرابه العبق
ولم تجد حوريات الفن غير
هوى بين الأزاهير في أوج الربيع بقي فرحن
يخطفن من أزهار جنته أحلى القطوف بهاء غير مختلف
ورحن ينهلن من ينبوعه رشفا هو الحياة سليل الورد أنت
والغسق طافت

بمحرابك الريفي حاشية فداؤها نبضات الحرف والورق
ثم التقت صور الأحلام موقعها بجانب الأطم الخضراء
والحبق فكيف تختزن الأيام سيرتها فلا تبوح بها إلا لمن أو
غلوا في وحشة الطرق؟

وكيف تنبت
في الدرب العنيد رؤى
مباهج الشعر فيها
قمة الفرح المسكون بالحرق؟

خريف 1996

9. قرية أركمان

يخطف البرق مني جديلة ويرسلها عبر درب طويل
إلى قرية
ولد من ذهول البراري
ومن زبد البحر
بين حدود الفراسة والماء
والأمسيات البوار
إلى قرية
خرجت من ثياب الأساطير
من شفق الروح
من غسق الكون
من ذكريات الخزامى وصمت القوارب والانتظار
كنت أدفع نفسي إلى صدرها
فتفاجئني الريح

تبعدني عن عذاري النوار
ويلوك براعمنا الليل
إثر النهار
لم يسد في مداها العصي
سوى لولب الوقت
والأعين الحالمات
بأجنحة الترقب والانشطار
كنت أسألها عن خيوط
من الكبرياء
وعمن رماها إلى عتبات الدجى
وسرير الغواية والاجترار
من يدل على قلبها في المرايا
ويرسم بالموج أبناءها
وينادي سرايا الغبار
هلموا ففي الشاطئ القزحي
تقيم النوارس أبراجها

وتمر الكواكب ظمأى
على سفن من دخان
هلموا إلى شاطئ
تتعلم فيه النسور الجوارح
كيف تطير
لأقصى البحار
وكيف تحول هذا الزمان
إلى قطع من فخار
كنت أسأل عن طقسها
فيجيب الصدى والبخار
كنت أسأل برا وبحرا
بأي المحالين أغرس حرفي
فيفلت من خطواتي المسار
كنت أسألها وأشد على كلماتي
لئلا تطير بهن الأعاصير
والموكب المستعار

كيف يا قرية الحلم
تنفلت الحوريات
وتخرج من ظلمات الحصار
كيف تخترقين الطلاسم
تبنين أرجوحة للنسيم
ومركبة للصغار؟

1998 - 5 -12

10. مليبية 95

حلمت إليك المساء على راحتي وتركت الصباح
يمزق أقمصة العنكبوت وراء الحدود
تركت النجوم التي أنجبتك تصد الفناء
وتبحث عن وجهها في المرايا وعن
حقا في الوجود
تركت العنادل تشكو ارتجاف الروابي وموت الندى
والورود
حملت إليك الأصيل
على طبق من ظنوني
تزودت من عتبات السماء
وأوراق نجم يتيم
وجئتك منشغلا بالسقوط المدوي
على هامش العمر المتوسط
منشغلا بانقلاب النهار

فلم أنتبه للسكوت المرابط في شرفاتك
لم أنتبه لشموخ الغبار
وأذهلني منك عشق الليالي
اندماج المواعيد فيك يطعم البحار
وأذهلني منك نبش الأساطير
حين تمد الشواطي أحلامها للرياح
وتمنح أسرارها للمحار

أتيتك منتكس الحلم ألهث خلف عوالم لاهبة وسوالف يختبئ الليل فيها وتولد منها الرؤى والضياء وكانت مناراتك الناعسات تشير بألف لسان خلال الضباب فيخذلني بصري وأوطن نفسي على لحظات العذاب وحولي النبوءات وحولي جراحات أمسي وبعض الصحاب وكانت لياليك وحشية والعناقيد حبلى تطل علينا الفجاءات من ألف باب :

أتيتك والصمت يسخر منا
يراقب أحوالنا من بعيد
ويمنعنا من شميم الخزامى
ويمنعنا من بلوغ القرار
فلم تثمر الكأس فينا
سوى تعب وانكسار
مليلية، أتيتك من زمني، خاليا من بريق الشموس، ومن سطوة العاشقين الكبار :
أقمنا معا حفلة للضياع الجميل
وكانت طقوس الموانئ بين يدينا
طرائد من لهب في الليالي الملاح
ولكن ظلك كان يفر
وصوتك ينأى
ويذبل فينا الكلام ا
ل
م
باح.

صيف 95

11. كيمياء الكتابة

إلى بشير القمري شقيقا وصديقا

إشراق وجهك شرفتي
وخطاك هاديتي
وصوتك ترجماني
وحداؤك الموال
أغنيتي
وحالك منهلي
وعلو شاني
وصداك قافلتي/إلى فلك افتتاني
فبأي مجذاف لحظة في الكون
تحملني
وتخمد عنفواني؟

مالي وللحبر المعتق
يسجن الأشواق في قلمي
ويقتل في بساتين الأحبة أقحواني؟
ماضي إلى الملكوت
أقتحم المدى
وأراقص الأشباح
أبحث عن مكاني
في المباءة أو زماني،
وأصالح الموت البطيء
أحتمي بجناحك المغموس
في بحر المعاني

شتاء 79

12. قالت شهرزاد

الصبح لاح والديك مولاي صاح ومنارة للوهم ساهرة
على نغم وراح تحكي وتغمز أختها وتمد للقصر المنيف
ذراعها مصبوغة بدم العروبة في لياليها الملاح
مولاي يحكي أن زرقاء
اليمامة أصبحت أمةً تُباع فيما وراء البحْر والنخاس
قائدك
الشجاع ووراءه وزراؤك الخبراء في نهب المتاع
الصبح لاح والديك يامولاي صاح وعقاربُ الساعات
جاثمة بأقصى الريح تعلك أقصى قشرة للكذب المعاد
ويقال بأن وصية الفاروق بيعت في المزاد.

ووزيرك

الحجاج يفتك بالعباد
مولاي
لم تظهر لنفطائيل
معجزة
سوى
ما كان من قهر البلاد
الصبح لاح
والديك يا مولاي صاح
والناس يختلطون كالأشباح
في مدن المجاعة والنباح
وأنا وأنت حكاية
نبتت على مرمى الأسنة والرماح
ومن المحيط إلى الخليج
يلوذ شعب الله بالصمت المباح

13. القطعــان

بعيدا عن سماء الروح
مال بنا الشراع
وفي أباريق المساء ظلال ساقية
زرعنا في حدائقها الكلام
فما وجدنا في قلاع الصمت غير ظلا لنا
والأمنيات
صدى تحجر
وأورقت كلماتنا
ذهبا وقافلة

ترقص فوق أشلائنا
صدى تحجر
وأثمرت أشجارنا
جيشا من الموتى
وأقمارا سرابية
تقيس بها أناشيد المغبة والسراب
بعيدا عن سماء الروح
بوجنا عرائسنا
على جبل الرؤى المتحجبات
فبادلتنا الشمس
إغفاء بأجنحة وبادلنا صراخ الأرض
إلهاما بألسنة خرافية
صلبنا فوقها : مدنا، أحلاما، وتاريخا

وغادرنا الخرائط والمقام
بعيدا عن مواويل الجداول
والضحى في القدس
عن عرصاتها الخضراء
هدبنا البروق إلى
بنوك النفط
حولنا ذخيرتنا من الإسراء والمعراج
أمداحا على أبواب أمريكا
فجاء القرد
واللوطي
والحوذي

يحملنا إلى سوق النخاسة والسلام
بعيدا عن سماء الروح
ظهرنا قصائدنا من المتفجرات
ومن دماء الشوق والذكرى
فكيف نفر من أعمارنا
ونعيش تحت الشمس
قطعانا على أبواب إسرائيل؟

1994

14. شهوة النـــار

لم أكن واثقا من شرود العبارة بين الصدى
والغبار
لم أكن شاهدا
حينما لقنتك الرياح مواعيدها
وفتحت
على شهوة النار
عنف السؤال
فبأي طريق حلمت غداة انكسار الجناح
وبأي ضفاف
غرست كمنجاتك الألف كيما
تغني الجراح؟

لبس الماء أشواقه
وانتقى من دليل النبوءات
مجرى عميقا
وقيثارة
من حفيف الدوالي
وألسنة من هزيج النهار
فإذا لم أكن
في طريقي إليك مع الشمس
حين تسافر في الأمنيات
وترحل
بين النجوم

فإن السحاب مدادي وإن المدى قبراتي وإن حروفي مخيل
وإنك
ياسيدي
عاشق
يستفزك صمت التداعي
وصحو اللغات
فترسم أيقونة للسراب
وأخرى
لعاشقة ولدت من شفاه السحاب
لم أكن واثقا
غير أني سمعتك
تنشد للفجر أحلامه
وتغير من قدر الكلمات
لتبني للروح معنى
وللملكوت نظاما
يؤنسن هذا المـــــــدار

صيف 96

15. قـوارب المـوت

من صباحي ترف ومن غزل الريح يمر الزمان وتمرق بين
يدي
الحياة، ومن شاطئ البحر يعلو النداء تعال تعال فأعبُر
صحراء نفسي وأموي إلى فلوات المحال
كم سلخت من السنوات البليدة
في رصد أجنحة الشاطئ المتعال
أراود ذاكرة الموج
أرسم زرقة بحر الشمال
على طبق من غبار السؤال
وكم سمع الفجر خطوي
وكم سمع المد والجزر
حتى انتهكت المدى
واخترقت المجال!

هل طرقت المجاعة صبرا وسيدة البر والبحر تجمع
أرصدتي من ولائمها وتفك سوالف أبكارها في الأسرة
قبل الزوال • هؤلاء المقيمون في ذروة الأزمات بداية
أسطورتي أم نهايتها • أم
شياطين بابل تحمي كراسي الهزال أم
تواطأت الكائنات لأصبح رقما حراما علي الولادة
والموت
مغتربا في أعالي البحار؟
أين ياجبل الريف تنمو الكآبة أو تختفي حين يتلاشى
الخيال؟
أين تدفعني رحلتي؟ حينما يتمطى الهواء ويبتلع الموج كل
القوارب
يصفعني اليمين وذات الشمال

16. فـــــاس

أبحرت
من أرق السواحل
من براري السمو
من أفق يسمى ملتقى البحرين :
بحر للمدى الريفي
للألوان تنسج دهشتي الأولى
وبحر موجه قلقي
وأشواقي
وملء حقائبي
شفق
وموسيقى
وتاريخ تقاسمه الغبار مع الهشيم
سفني
تميل بها الغواية
نحو أدغال خرافية
يجللها سحاب عائد
من أنجم العشق القديم

وأنا
أحول طينة الأحلام أغنية
وأنحت من سهوم الناس
جدول فتنة
لبراءة الوطن العظيم
وأمازح الألوان
في العتبات
أزجرها، وأطويها، وأنشرها
على الأبواب
رمسا طازجا
لمرارة الزمن الكظيم
وأنا
أطارح الأيام قافية من النعناع والنارنج حتى
لا يباغتها الفراغ وحارس القصر المدلل كلما
انتبذت تخوم محبة عمياء
من جبال الريف
حاملة عناقيد الطفولة كي
تبلل جبهة الجبل اليتيم
أبحث من أحزان دالية تخوض حروبها السبعين ضد
ترهل الأقطار والأسماء في هذا
السديم

أبحرت من نار الفصول إليك يهديني ضلال الحروف
في صحفي وأوراقي فأنت تزاحم الأضداد أنت
مساحة الأوجاع قبلة نشوتي وصلاة محوي ثم
إحراقي وأنت نوارس الضوء التي انتشرت على
حافلة آفاقي فأين
أعلق الرايات يا
حوضا تدفق من بساتين العصور، أو قيامه.
لخطاي فيك حداء قافلة من العشاق ليس ربيعهم بدنو من
البطحاء حتى يومئ الأسفلت للشرفات بالسمر الحميم
ويذوب طيف قمامة خلعت عليك نشيدها المنظم من خيط
النسيم لخطاي فيك هيامها الآتي طراوتها وأقمار الطفولة
تلهب الذكرى بباب أبي الفتوح وقد تجلى عن أساطير المدينة
واختفى من ألف عام
فبأي قيثار
أراود صمته المنفي
في تحف الكلام
وبأي ناقوس
أزف عرائس الفوضى
إلى هذا النظام؟
يافاس،
حياك انسياب غزالة ترعى انكسارات الظلال على أفاريز
المساء ورفيف أجنحة على فوانيس البهاء،

يافاس،
ما رقة حروفي من سلالتها، وجاحدة خطاي
- جميع أرصفة اليقين-
فلأي فجر تمطرين حدائق المعنى
بماء المستحيل، وبأي
بستان يسامر كوكب أسحار عين سلسبيل؟
وبأي قداس أفك جدائل الردهات في عبق السكون
المخملي وأقتفي
أثر الحريق
على خدود الزنجبيـــــــــل؟
وبأي
فاسوخ
أحيل طلاسم الماضي
إلى زبد
وذاكرة الطيور
إلى
ذؤابات النخيل؟

95-66

17. كلام بسيط

إلى برنا لم نصل أبدا إلى بحرنا لم نصل أبدا إلى حلمنا لم
نصل أبدا
ووصلنا
إلى مستنقعات حظائرهم
لتزين أعراسهم
ونقيم لهم حفلات الولا ثم
نجتر أحزاننا في الخفاء
لا جناح علينا إذا ما اقتسمنا
رغيف الرجاء
وسقنا الأحاديث خانعة
قاب قوسين
من أعين الرقباء
لا جناح إذا ما ادخرنا الغبار
وصار الخراب لنا سيدا

فنحن مغاربة بسطاء
فغادر أوكارنا في الصباح
ونعدو وراء السراب
على ذبذبات الصدى
نضيع وراء دخان المقاهي
ونسجن فوق مقاعدها بلدا
لنا أن نعبر عما نشاء
لنا أن نموت
وأن نتناسل
من غير سوء
وشكرا لمن علمونا مزايا الهدى.

18. أحـــــلام

ربما كنت أحلم ذات مساء أنني دوحة يتخبأ في ظلها
الفقراء
ربما كنت أحلم منخدعا بهدوء المساء أنني طائر في الهواء
وأن بلادي بساتين مفتوحة لدخول النوارس والشعراء.
ربما كنت أحلم أنني حر أغني لأهلي أعانق أحوالهم ثم
أرسم روح الأناشيد حين أنشأ وكيف أشاء.
ربما...
كنت أحلم أن سماء بلادي
وشمس بلادي
عشق الأمان ودنيا الوفاء
وأن الدوالي أجنحتي
والحدائق مركبتي
لأجوب البحار وأغزو الفضاء/ربما كنت أحلم أني سعيد
بفجر بلادي
وليل بلادي

ولا خول منه على أصدقائي
إذا ما استباحوا عيون الكلام / ربما كنت أحلم أني طليق
وأن حدودي
على صدرها يستحم الغناء/ ربما كنت أحلم أن رياح
بلادي
تهب على موعد العاشقين
وأن الحمام على الأكمات
يزف صباحاتها للقاء
ربما كان دفق الحياة
ينادي على ضفتيها
وكنت أسامر فيها شوق النداء

صيف 96

19. قبر للحب

في الأقاصي
رأيتك تقتنصين المحال وتبنين من زبد البحر ناطحة
السحاب
وبارجة من خيال
في الأقاصي
رأيتك نائمة في سهوب مخادعة وحين يلوح لي بالسراب
لم أكن غارقا في الكلام المنمق حين اكتشفتك
أو واقعا في خطايا السؤال
عندما انحفر القبر في داخلي وانتبهت على عتمات
الظلال
ثقوب من الألم الوثني
فلول من الأمنيات العذارى
حريق وطين وأغنية ميتة وقبر
لأنثى المسافات
والحب
والكائنات

لأنثى المسافات
شعر المساء
وللحب شكل لطيور
فلا تسألني عن هبوبي
ولا عن صدى الروح
في أغنيات الجنوب
وتكتبي إسمك بالشمع عندي
ولا تسألي عن حروبي
لأنثى المسافات شكل السماء وللحب
شكل اصطدامي
بين السنابل والأقحوان فهلا انتظرت
قليلا

ليستوي الفستق النبوي بأحلامنا
تحت شمس المغيب وهلا
اقتحمت زمان غروبي
لنحلم بالماء والعنفوان
لم تسلمي من لعبة الدمار لما أتاك هاربا من فتنتي ليخلم
عنه العذار فأنت
مظلة
في حديقة المغامرة
وزورق ونار

صيف 96

20. رمـل وزبـــد

لم أكترث لنداء أشواقي ولا
لحدود أحلامي وآفاقي وما
في القلب من رمل ومن
زبدوما
في خطوتي العَطْشَى من وهم يحاصر لذة الذكرى إلى
ناموسها الأبدي فتكل
مواكل العشاق موالي وذاك
البوح ترياقي وصدر الأفق مستندي إذا
أوغلت في صحراء عمري أو
ضباب غدي لم
أكترث للنمل حين يزف للشمس الموائد من
شذى النسيان في
أنغامي الجذلي فإن
نشيدها مددي لم
أكترث لمرارة الشطآن في

شفتي ولا
لجحافل الغربان في
جسدي لم
أكترث لمجالس الموتى ولا الغيلان في قداسها المخمور
فالأقمار
والنسرين ملء خواطري ويدي لم
أكترث لمواكب الفرسان ورق فتلك أشرعتي الريح وهذا
البحر محبرتي ومجدافي إلى أرجوحة الأبد

شتاء 97

مقاومـــة الغيـــاب

بشيـر القمري

يحلق "هديل الروح" كما حلق في السابق شعر حسين القمري في "ألف باء" (76، ديوانه الأول) ثم في "كتاب الليالي" (91، ديوانه الثاني)، في عدة أرباض وتخوم متراكبة، أبرزها ربضُ اللغة الجزلة المحنكة التي نذرت وتنذر نفسها وشحنتها ونبراتها لمقاومة الغياب، كل الغياب، ومن ثم تفك عقدة "لسانها" وتمدّ –وتمدّدُ أشرعتها المثخنة والمحركة لتنشرها في وجه كل احتمالات التوتر والانصهار كي تتشكل، عن قصد ورغبة سنخيين. في أرخبيلات التدال النصي عبر أرحام منسية، مكبوتة، مدفونة، متروكة للهجير والصقيع معا وللظى أحبةٍ من أهلها تركوها مسبية، مطنبين فيها تارة، وتارة أخرى متحذلقين في عشقها، على ناصية الغواية الموؤودة في الذاكرة، على قارعة الهجر والنسيان :

أليس التناسي – وهو أقسى درجات النسيان- قريبا من "لموت الريحيم " L'euthanasie .

إن بلاغة "هديل الروح" في هذا المسرى والمجرى، بلاغة اكتناه سحيق تمارس غوايتها هي ، كل غواياها المؤجلة، وتقتنص- في سمو معجمها الباذخ وتشخيصها البلوري الشفاف، متعة انشائها واحتفائها باللحظة، -الكلمة- اللفظ- وبالتركيب في السبك الشعري، بنوع من الاتساق الذي يتضمن للإنثيال رونقه، اتساق وانثيال يحتدمان ويذكّران بانسياب مياه الشلالات ودفقها المتوثب حباباً، كأنه اللجين يندلق، ويأتي ذلك، كل ذلك، بنفس وجرس شعريين متعاليين موغلين في الترصد، ترصد بلاغة رُخامية تنسكب وبنبعثُ حرائق وموجات لاهبة حين يخضخضها حسين القمري لتزداد توقدا واشتغالا، كالجمر، في خرائط نسيناها لشدة السهو والإمعان في تفاصيل الغياب وفي مراسم الفقدان.

ولأن حسين القمري شاعر بالفعل، بالسليقة والقدرة على التقاط كيمياء الحياة والعناصر والأشياء، وعلى اختراق هندسة المكان، من حوله، والاحتفاظ بذلك ليختمر أكثر، ولكونه تنقّل، على امتداد قرابة أربعة عقود متواصلة عبر عدة قارات شعرية، حتى لا أقول "أشكالا" شعرية، منها

العمودي أساسا، و"الوطني" و "التحريضي" و "الواقعي"
برنامجا ومسارا،

خاصة في السبعينيات، ويأتي كعادته، من عمق مشهدنا الشعري المفتوح، فإن أبرز مكون لديه يتمظهر في شعره –نصوصه- كتابته هو الصياغة الفيحاء الأنيقة، ونحس، ونحن نقرأ نصوص "هديل الروح" أننا نُبحرُ في واحة ظليلة هتدي إليها بعد ترحال طويل في يباس التجريب المطلق الذي دمر روح الشعر وأتلف شعرية متمزقة الإهاب بفعل هوس حداثي معطوب، يرتدي كل المعاطف والأردية ولا يحسن الإيقاع بنا.

عندما نقيم في هذا "الهديل" الواحة نحسُّ رفرفة طير لا يرى وحمام يُقبلُ في تجاويف الغياب ليُحط بجانبنا، فنمنحُ أنفسنا التيه –للتيه ولإيقاد الحنين نحو ذاتنا المهجرة في قعْر تمركُزنا الفردي حول "أنا" لا يطاق : إنها متعة الانتشاء بالعالم كما هو، في فطريته المتوحشة وفي توحشه الفطري الذي نحياه مقنَّعين، ملَفعين بحقيقتنا الغُفل وقناعاتنا الراسخة : "أنا، أنا، وبعدي الطوفان" احتفاء حسين القمري بالعالم هو احتفاء بوحشته الآثمة، اللازمة أحيانا، قرب ذواتنا المترعة بالخرابات منذ ولجنا عالمنا الميت هذا، العالم اللايستجيب إلا قسرا وعنوة، ويفعل حسين القمري ذلك على حافة المتوسط، توأم بحر الظلمات، وهو يراود لغته التي تمنحه هوية مسافرة في المكان وفي

الزمان، ولا الزمن وحده، وشتان ما بين هذا وذاك، على حافة الذاكرة، ولا يعني هذا أنه شاعر ذاتي صرف بالمعنى المتهالك المستهلك، ذلك أنه بذاتيته، متى سلمنا بها، وليس عيبا، ينغل من فتيل تغريبة اكتناه العالم أصلا والفعل فيه، وهو في هذا يعانق تغريبات أخرى، منها تغريبة طرفه والمتنبي والسياب والمجاطي وراجع إلى أن يستقر عند نفسه، وفي تغريبته هو .

يبرز هذا عندما يعلن شعر –شاعر "هديل الروح" اعتناقه لألم الفقدان، فقدان شعراء هم من فصيلة هذه التغريبة (راجع، المجاطي، بركات) فقدان أمكنة هي الإيثاكيا الرابضة مثل أبي هول يردد الأسئلة (مليلية، القدس، في لحظة مقاومة الغياب، بشير القمري) . وبين ألم الفقدان والنشوة المستحيلة، يبرز مكون الاحتباس الذي يشق طريقه ويرد الشاعر فيه إلى عزلته الضافية في الصمت والإمساك عن الجهر بالجرح أو الفرح : هامش تفرضه "الضرورة الشعرية" التي تقتضي أن يخلق الشاعر –دائما- مسافته ليشهد ما يحدث وعلى زمنه، على الزمن الذي ينسل ويترك المكان دارسا إلى حين اشتعال الرعب واشتعال الورق والمداد.

هوية دفينة تسطرها نصوص "هديل الروح" وتجعل شاعرها ينشد إلى رمزية ابن عربي، مثلا، أو التوحيدي، درءا للإنشطار والتوزع، وكأنني بأخي حسين القمري يبحث عن خريطة أخرى لا توازن فيها إلا بمقاومة الغياب، عن مجَنّ لرفع الاحتباس ودفع التقلب الحاصل في روزنامة الوقت، لكن هيهات!

هيهات، هيهات، فللشعر سلطته، للشعر —دائما- سلطة الشعر، خارج مدارت الذاكرة والرموز والأسماء والأماكن: الشاعر هنا يبحث فلا يجد غير "اشتباهه" (نص في حضرة محي الدين بن عربي)، اشتباه يبعد الشّبهة وانفصام اللسان —اللغة، بين نص ونص، وبين فقدان وفقدان، ثم يشتد النسيان، لكن تقوى المقاومة، مقاومة الغياب. ووحدها اللغة تتحول إلى مِجَنّ، إلى ذراع لدرء الفجيعة، وما أشدها علي، ياحسين، ماأقساها حين أقرأها، حين أقرأك نصوصك وأحسن فيها، مرتحلا معك، بين الأزمنة —في الأمكنة، ومعنا كل الذين تذكرهم، واحدا واحدا، يقاومون غيابهم وغياب الأشياء —العناصر- الكلمات التي تشدهم — تشدك — تشدني- تشدنا إلى ما تبقّى من خرابات وما تحمله طيات الكتاب والذاكرة، ثم يأتي شعرك، في "هديل الروح" بلسما، يأتي مَهَلاً ورحيقا، يأتي إكسيراً غير أنه، في امتداده واشتغاله طلَّسْمُ المتاهات

التي أعشقُها في انشدادي إليك وإلي شعرك، أوّلا بأول، ولي الحق، كلّ الحق، في ذلك ، وإلا ما كنت مجبرا علىً الاعتراف بين يديك، وإلا ما كنتُ أتجرأ لأمنح نفسي العبور إلى هديل روحك المترعة بالعزلةِ الساحقة

التي تحياها في الناظور وأنا على حافة الأطلسي، منذ عقدين ونيف، ألاحق متاهي وأدعوك إليها قدر الشعر والغواية،
هل "الحقيقة" هي "بنت اليقين"؟
وهل رأيت عبد الله "يهندس الدنيا" و "يصنع من خرائبها جوابا"؟
وهل الزمن "طاحونة"؟
وهل أحمد بركات "سيد المرجان"؟
سأترك أسئلتي معلقة، وأجنح إلى الصمت قليلا في "وحشة الطرق" (ص 14) أو في "قرية الحلم" (ص 16) لكنني معك في "بحر المعاني (ص 19) ونعم : "أنا شرفتك" (ص19)

قمري البشير
الرباط، أواسط شتنبر 1998